# مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

# Orthodox Archdiocese of Beirut


## الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣:١٠-١٥)

يا ولدي تيموثاوس إنَّك قد استَقريتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكية وإيقونيةَ ولِسترَةَ. وأيَّة اضطهادات احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعِها* وجميعُ الذينَ يريدونَ أن يعيشوا بالتقوى في المسيحِ يسوعَ يُضطَهدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوُونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلِّينَ ومُضَلِّين* فاستمرّ أنت على ما تعلَّمتَهُ وأيقنتَ به عالِماً مِمَّن تعلَّمتَ* وأنَّكَ منذُ الطفوليَّةِ تعرِفُ الكتُبَ المُقدَّسةَ القادِرةَ أن تُصيِّرَكَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

## الإنجيل

(لوقا ٥: ١-١١)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ واقفٌ عند بحيرةِ

## القديس سلوان الآثوسي

طيلة حياته المباركة عاش القديس سلوان «محجوباً عن أعين الجميع»، وفي هذا رغبة منه حققها له الله، وما قال فيه معظم معاصروه أكثر من إنه «كان راهباً طيباً». مع هذا، فالبار سلوان الآثوسي الذي نُعيِّد له في ٢٤ أيلول، يمثّل اليوم إشعاعاً وتأثيراً روحيين بالغين، بل وإنه صار مَعْلماً أساسياً من معالم تراثنا الروحي. مردّ هذا، إلى كتاباته التي عني بجمعها ونشرها تلميذه الارشمندريت المغبوط صوفروني ساخاروف. في الأساس ما أنشأ القديس سلوان أية كتابات منهجية أو مواد تصلح للنشر، بل دوّن خام خبراته العميقة على وريقات أو على هوامش ما كان بين يديه من كتب. هذا بالإضافة إلى ما وُجد في رسائل كان يبعث بها إلى مسترشديه. وعلى مثال أسلافه من القديسين، ما كتب سلوان بقرار من مشيئته بل بدفعٍ من الروح القدس: «الروح القدس ثقفني. هكذا صرت أكتب عن الله بلا جهد... فهو من يحملني على الكتابة»، على ما يشهد القديس نفسه.

سمو الروح القدس وعمقه، دفؤه وحياته وقوّته، كلها تتجلى في كتابات البار سلوان بشكل بسيط مباشر يطال عمق وجدان القارئ، ترفعه وتفعل فيه تحولات جذرية. أحد من راسلوا البار سلوان يشهد على هذا قائلاً: «كثيراً ما رأيت، وبكل وضوح، في رسائل الأب سلوان قوة ما رأيت مثلها عند أحد». هذه القوة، الآتية أولاً وآخراً من الروح القدس، حملها في كتابات سلوان التعبير المباشر، البسيط والمجرّد، الذي تنتجه الخبرة الحقيقية المعاشة. سلوان ينتمي إلى أولئك الذين تطابق أقوالهم حياتهم كما في مرآة، فتأتي شهادتهم فورية الإقناع لا تُرَدّ. القديس سلوان يقول ما هو، وهو ما يقول.

وإن كانت كتابات القديس سلوان لم تُكتب أصلاً بنية النشر، لكنها لم تكن مجرد خواطر وجدانية يجمعها صاحبها لذاته بل هي كُتبت لتُقرأ. في كتاباته تظهر جلية رغبة القديس في التعبير عن خبرات حياته مع الله، وفي مشاركتها أيضاً. همّان أساسيان ما بارحا القديس طيلة حياته الجهادية: رحمة الله ومحبته تجاه كل


**العدد ٢٠٠٦/٣٩**

**الأحد ٢٤ أيلول**

**تذكار القديسة تقلا أولى الشهيدات والمعادلة الرسل**

**اللحن السادس**

**إنجيل السَحَرْ الرابع**

جَنيسارَتْ رأى سفينتَينِ
واقفتَيْنِ عندَ شاطئِ البحيرة
وقد انحدرَ منهما
الصيَّادون يغسِلون الشباك*
فدخلَ إحدى السفينتينِ
وكانت لسمعانَ وسألهُ أنْ
يتباعدَ قليلاً عنِ البَرِّ
وجلسَ يعلّمُ الجموعَ من
السفينة* ولمَّا فَرَغَ من
الكلامِ قال لسمعانَ تقدَّمْ
إلى العُمقِ وألقوا شباككم
للصيد* فأجابَ سمعانُ
وقال لهُ يا معلّمُ إنَّا قد
تعِبنا الليلَ كلَّهُ ولم نُصِبْ
شيئاً ولكِنْ بكلمتِك أُلقي
الشبكة* فلمَّا فعلوا ذلك
احتازوا من السمكِ شيئاً
كثيراً حتى تخرَّقَتْ
شبكتُهم* فأشاروا إلى
شُرَكائِهم في السفينة
الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم.
فأتوا وملأوا السفينتينِ
حتى كادتا تغرقان* فلمَّا
رأى ذلك سمعانُ بطرس خرَّ
عند رُكبتَيْ يسوعَ قائلاً
أخرُجْ عنّي يا ربُّ فإنّي
رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإنذهالَ
اعتراهُ هو وكلَّ مَن معهُ
لصيدِ السمكِ الذي أصابوهُ*
وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا
زبدى اللذان كانا رفيقَينِ
لسمعان. فقال يسوعُ
لسمعانَ لا تخَفْ فإنَّكَ منَ
الآن تكونُ صائداً للناس*
فلمَّا بلَغوا بالسفينتينِ إلى

البشر على الإطلاق (وهو ما اختبره القديس شخصياً وبعمق)، والمساهمة على قدر طاقته في خلاص الكل.

أسلوب القديس سلوان بالغ الدفء، فيه شاعرية عميقة. هذا ويستعمل القديس، وهو ما نال من العلوم إلا القليل القليل، خطاباً بسيطاً لا نمق فيه البتة ولا يراعي اياً من قواعد الإنشاء. أحياناً نجد في كتابات البار سلوان شيئاً من تكرار، لعل مرده إلى أن القديس أراد التركيز على محاور اساسية رأى فيها ملخص حياته مع الله. في هذا المجال أتت مساهمة الأب المغبوط صفرونيوس وهو الذي تتلمذ للقديس ولعله كان أكثر من عرفوه. فخوفاً من أن تلتبس على المؤمنين كتابات قديسه، لا سيما لضعف بنيتها الإنشائية، عمل على تنسيقها بحسب محاورها الأساسية وأضاف إليها حواشي إيضاحية مفصلة. لم يمسّ الأب المغبوط صفرونيوس من جوهر كتابات معلمه شيئاً، بل سهّل على عموم المؤمنين تناولها.

من يألف كتابات القديس سلوان الآثوسي يرى بوضوح وموضوعية معادلتها لكتابات كبار من آباء الكنيسة. من هؤلاء مثلاً إثنين من أعمدة الروحانية الأرثوذكسية، هما الباران سمعان اللاهوتي الحديث وإسحق السرياني. صلته بالقديس سمعان كانت معاينته المسيح حياً وما تركته فيهما هذه المعاينة من أثر عميق. أما ما يجمعه بالقديس إسحق فكان ما يبديه من وافر الرحمة والحنو تجاه الخليقة بأسرها، لا تجاه الإنسان وحسب. هذا بالإضافة إلى قربه الواضح من آباء كثيرين آخرين، منهم القديم كالبار يوحنا السلمي أو الحديث كالبار سيرافيم ساروفسكي. كتابات القديس سلوان تشهد أيضاً لعمق تجذره في التقليد الروحاني للكنيسة الأرثوذكسية، المحفوظ في إرث الآباء القدامى، والمستمر ممارسة حيَّة تنتقل من أب روحي إلى ابنه، دون انقطاع على مدى العصور. لا بد من التشديد هنا على أن قرابة القديس سلوان من آباء الكنيسة لم تكن بسبب مطابقة مظهرية لكتاباتهم، بل ناتجة عن خبرته الروحية العميقة المطابقة لخبراتهم.

صلة القديس سلوان مع الآباء واشتراكه معهم في الخبرة الروحية المعاشة إلى أبعد حدودها لم يلغيا شخصيته الخاصة التي نحتتها تجاربه الخاصة. في كتابات القديس سلوان شهادة وتعليم جديدان ليس لأنهما يحملان عناصر جديدة بل لأنهما يسلّطان ضوءاً جديداً على عناصر تنتمي إلى هذا المستوى أو ذاك من الخبرة الروحية المشتركة للقديسين. بكلام آخر نقول ان القديس سلوان حمل، على قاعدة تقليد القداسة المعاش منذ نشأة الكنيسة، عناوين النعمة التي خصّه الله بها فأتى تعليمه إذذاك جديداً.

من هذه العناوين كلمة «ثبت نفسك في الجحيم ولا تيأس»، وهي الأبرز بين عناوين تعليمه. هذه الوصية التي سمعها القديس من فم الرب يسوع المسيح نفسه في رؤيا إلهية، إتخذها أمرًا إلهيًا وبرنامج حياة روحية. ورغم أن هذه الوصية أتته استجابة لحالة روحية خاصة به، إلا أنها تحمل بشكل عام علاجًا لإثنتين من أصعب الآفات الروحية: الكبرياء واليأس. هذا بالإضافة إلى اتصالها الوثيق بفضيلتين من دعائم الحياة المسيحية: التواضع (المقتنى بالتوبة) والرجاء. عنوان ثانٍ بارز في شهادة البار سلوان هو محبة

البَرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوهُ.

## تأمل

إذا كان إثنا عشر رجلاً لفضل سيرتهم ألقوا خميرةً في قلوب أهل المسكونة جميعها فما بالنا نحن الذين لا يُحصى عددنا لا يمكننا أن نُصلِح ونتلافى الآخرين. وقد كان ينبغي لنا أن نكون خميراً صالحاً ونُخمِّر ألوفاً من الناس. فإن قال قائلٌ ان أولئك كانوا رسلاً مؤيَّدين بالروح أقول انهم كانوا أولاً يسيرون في العالم ويتعاطون الصنائع ويتقلَّبون تحت تصاريف الأحوال ويشاركوننا في القيام بحاجات المعيشة. ولمَّا أهَّلوا أنفسهم وصيَّروها آنيةً طاهرةً بأعمالهم الصالحة استحقُّوا بذلك نوال مواهب الروح. فإن قلت ما هي الأعمال التي أهَّلتهم لنيل هذه المواهب أقول هي الازدراءُ بالأموال وما يتعلَّق بها من التنعُّم والسَرَف والسكر وبقيَّة اللذات البدنيَّة والاتِّضاع وانسحاق القلب والروح وعدم الصَلَف والكبرياء وبقية أنواع الفضائل. وإن قلت ان أولئك كانوا يصنعون الآيات فليس لنا أن نتشبَّه بهم أقول وإلى متى نتعلَّل بالمعجزات ونجعلها سبباً لإهمالنا

. أما تعلم يا هذا ان الأعداء. فالقديس يحكي هنا، مما اختبر شخصياً، كيف أن هذه هي أكمل أشكال محبة الآخر التي أوصى بها المسيح وكيف أنها، ودائماً كما اختبر، لا تنفصل عن وصية السيد الأولى محبة الله. اتصالاً بمحبة القريب، وأيضاً بالرجاء والثقة بالرحمة الإلهية، تأتي الصلاة من أجل خلاص كل الناس. بحسب تعليم القديس لا يمكن للمسيحي أن يفصل خلاصه عن خلاص كل الناس، لذا كانت صلاته الدائمة: «أصلّي لك أيها الرب الرحوم أن يعرفك كل الناس بواسطة روحك القدوس». عنوان آخر في تعليم القديس، لعله مرتبط بالعنوان الأول، هو خوض تجربة «التخلي الإلهي» بلا يأس، والتي عاشها القديس طويلاً بعدما ظهر له السيد للمرة الأولى وهو بعد في أولى سنوات الإبتداء. هذه التجربة عمقت جذور القديس في رجائه بالرحمة الإلهية، وكانت حاسمة في بناء شخصيته الروحية. التواضع والتوبة محوريان في تعليم القديس، كما في تعليم سائر الآباء، ولكن بنكهة خبرته الشخصية وهو الآتي إلى الله من عالم الخطيئة والانحلال، وبرائحة معرفته الحميمة بالمسيح. من هذه المعرفة الحميمة يرتسم السيد في كتابات القديس فائضاً بالحب والرحمة، بالوداعة والسلام، والتواضع بما لا يقا س. لا شك أن صورة المسيح هذه، كما عايشها القديس، تتجلى في مجمل تعاليمه.

وإذا كانت غاية الحياة المسيحية، كما يقول القديس سيرافيم، هي اقتناء الروح القدس، فإن القديس سلوان الآثوسي، وبلا أدنى شك، قد بلغ الهدف. الروح القدس حاضر دائم في كل تعاليمه وشهاداته، حضوراً لا مثيل له لدى أي من الآباء الآخرين، ودائماً بشكل تعبير عن خبرة حميمة وحضور حي ومحيي. بهذه الخبرة وبفضل هذا الحضور تكلم القديس سلوان، وعبر العناوين الأساسية التي ذكرنا، كلام تقليدنا الأرثوذكسي الحي نفسه، ولكن بعبارات وأشكال تخاطب هواجس وتطلعات وآمال الإنسان في عصرنا الحالي.

## طقوس المعمودية

+ الزياح:

بعد المسح بالميرون مباشرة يقود الكاهن المعمَّد الجديد وعرّابيه في زياح دائري حول جرن المعمودية حاملين الشموع ومرتلين الآية المأخوذة من رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية: «أنتم الذين بالمسيح اعتمَدتُم المسيحَ قد لبِستم. هللويا» (غلا ٣: ٢٧). في القرون الأولى حيث كانت معمودية الكبار هي السائدة، وحيث كانت المعمودية تتم ليلة الفصح فقط، كان هذا الزياح هو الذي يقود المعمَّدين الجدد من بيت المعمودية (إلى جانب الكنيسة) حيث تمَّت معموديتهم إلى داخل الكنيسة ليأخذوا مكانهم بين أعضاء الكنيسة. كما كان هو نفسه الزياح الذي تبتدئ به خدمة عيد الفصح. ما بقي من زياح الفصح اليوم هو الخروج من داخل الكنيسة إلى خارجها لتبتدئ الهجمة التي تنتهي بفتح أبواب الكنيسة صورة لفتح أبواب الملكوت الذي حصل بقيامة المسيح من بين الأموات. القديس غريغوريوس النيصصي يقول ان الزياح هو الدخول إلى الهيكل

التماس ظهور الآيات قد جلب على كثيرين ضرراً عظيماً كما فعل سيمن الساحر والذي طلب أن يتبع سيدنا لكي يعمل الآيات فقال له للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وابن البشر ليس لهُ موضعٌ يسند إليهِ رأسهُ. وأمثال هؤلاء يطلبون عمل الآيات بعضهم لتحصيل المال وبعضهم لاكتساب المجد الباطل فقط. ولكن الاهتمام بالسيرة الفاضلة والاجتهاد في عمل الصالحات هو الذي يريده الله منا لا غير. ولذلك قال ليرى الناس أعمالكم الصالحة ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات، وما قال ليروا آياتكم لأن الفاضل السيرة يُخلِّص أنفس كثيرين بعضهم بتعاليمه وبعضهم بالاقتداء بسيرتهِ وبعضهم بطلب التشبُّه بفضيلته. ولست أعني بالسيرة الفاضلة أن تصوم دائماً وتفرش تحتك الرماد وتلبس مسوح الشعر. بل الفاضل السيرة هو الذي يزهد في جمع الأموال ويطعم الجائع ويكسو العريان ويحبُّ جميع خليقة الله ويعاصي الغضب ويتجنَّب الحسد ولا يبغض ولا يكذب ولا يسرق ولا يفعل ما يخالف الناموس

**القديس يوحنا الذهبي الفم**

السماوي، إلى الملكوت. إنه عبور من هذا العالم إلى عالم الله. إنه زياح نحو «النور الذي لا يعروه مساء»، نور الله الأبدي.

بعد ولادة المعمَّد الجديدة في المعمودية وتثبيته ابناً للملكوت في الميرون المقدس، على المعمَّد أن ينتقل إلى الكنيسة لكي يمارس عضويته بين سائر أبناء الملكوت، أبناء الكنيسة، عبر الاشتراك في جسد المسيح ودمه. هذا الإنتقال يتم في الزياح. إنه الطقس الذي يربط المعمودية بسر الإفخارستيا. الزياح الدائري حول جرن المعمودية هو رمز للفرح الروحي وللأزلية. الدائرة لا بداية لها ولا نهاية، كما ان الملكوت ليس له ابتداء ولا انتهاء، أزلي، أبدي. ندور ثلاث مرات حول جرن المعمودية في توقير دائم للثالوث الأقدس.

في نهاية الزياح تقرأ الرسالة (رومية ٦: ٣–١١) والإنجيل (متى ٢٨: ١٦–٢٠) حيث نسمع كلمة الله الموجهة إلينا بما يخص المعمودية المقدَّسة.

**+ المناولة:**

بعد قراءة الإنجيل يتقدَّم العراب حاملاً المعمَّد ويقف أمام الباب الملوكي لتتم مناولة المعمَّد جسد ودم الرب المقدَّسين، وتعتبر هذه المناولة الأولى للطفل. في الكنيسة الأرثوذكسية (وفي الكنيسة الغربية بقيت الأمور هكذا حتى القرن الرابع عشر) لا فصل بين سر المعمودية والميرون والافخارستيا، أي اننا نمنح المعمَّد المناولة المقدسة مباشرة بعد تعميده ومسحه بالميرون. «في المعمودية نولد ثانية بالماء والروح، فتجعلنا هذه الولادة أهلاً للروح القدس ولعنصرتنا الشخصية. أما موهبة الروح القدس فتفتح لنا المدخل إلى الكنيسة، أي إلى مائدة المسيح في ملكوته. إننا نعتمد لكي نأخذ الروح القدس، ونأخذ الروح القدس لكي نصير أعضاء حيَّة في جسد المسيح وننمو داخل الكنيسة حتى نبلغ ملء قامة المسيح» (الأب ألكسندر شميمان). ما لا يعيه الكثيرون ان الكنيسة تتحقق بأجلى بيان في سر الإفخارستيا المقدسة، أي في سر الشكر، في القداس الإلهي، حيث الجميع يشتركون في جسد الرب ودمه ويصيرون واحداً مع الرب ومع بعضهم، وبالتالي يتحقق جسد المسيح الواحد أي الكنيسة. في سر الشكر تتجلى الكنيسة بوصفها جسداً للمسيح وهيكلاً للروح القدس وتحقيقاً لملكوت الله في هذا العالم. في المعمودية نصبح ابناء الملكوت، لذا علينا أن نتغذى من مائدة الملكوت لكي ننمو روحياً، لذا لا نمنع المناولة عن الأطفال المعمَّدين.

في الماضي، عندما كانت تتم معمودية الراشدين ليلة الفصح، كان المعمّدون حديثاً يدخلون في زياح إلى الكنيسة ويأخذون أماكنهم للإشتراك في القداس الإلهي الفصحي مع باقي جماعة المؤمنين، أي الكنيسة، ويشتركون في المناولة لكي يصيروا واحداً مع المسيح ومع الجماعة في آن، ويصيرون «شركاء الطبيعة الإلهية» (٢بط ١:٤). في المعمودية نموت ونقوم مع المسيح وندخل إلى الملكوت، وفي المناولة نشترك في مائدة الملكوت السماوية، مائدة الرب، ونصير بالفعل أعضاء في جسد المسيح، الكنيسة. نصير ابناء الملكوت ولا نعود أبناء «هذا العالم».

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**
**www.quartos.org.lb**